﴿قُلۡ كُلّٞ مُّتَرَبِّصٞ فَتَرَبَّصُواْۖ فَسَتَعۡلَمُونَ مَنۡ أَصۡحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ١٣٥﴾ [طه: 135]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

بعد بيان ما يصدُر عنهم مِنَ الجحود والإنكار، جاء الإعلان بالتَّربُّص والانتظار

لمّا ذَكَرَ اللّهُ تعالى في ما سبق أنّ إيمانَ هؤلاء المشركين كالمُمتَنع، وجدالهم لا يَنقطِعُ، بل إنْ جاءَهُمُ الهدى طعنوا فيه، وإنْ عُذِّبوا قبلَه تَظلَّموا، كأنّه قيل: فما الّذي يُفعَلُ معهم؟؛ فجاءت هذه الآية لتعليم رسول الله ﷺ ما يقوله لهم ردًّا على جدالهم بالإعلان بالتَّربُّص انتظارًا للخزي والذُّلّ، فقال: ﴿قُلۡ كُلّٞ مُّتَرَبِّصٞ فَتَرَبَّصُواْۖ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿مُّتَرَبِّصٞ﴾، ﴿فَتَرَبَّصُواْۖ﴾: التَّربُّص هو: الانتظار بالشّيء[2]سلعةً يُقصَدُ بها غلاءً أم رخصًا، أم أمرًا يُنتظَرُ زوالُه أو حصولُه، وليس أيَّ انتظار، وإنّما هو انتظارٌ لخيرٍ يحصُلُ أو سوءٍ[3]، مع خصوصيّةٍ في التَّربُّص، وهي التَّحفُّز والتَّرقُّب، فالّذي يتربَّصُ بشيءٍ يتحفَّزُ لِما سيحدثُ ويترقَّبُه[4]، ومعنى ﴿مُّتَرَبِّصٞ﴾ في قوله تعالى: ﴿قُلۡ كُلّٞ مُّتَرَبِّصٞ﴾؛ أي: مُنتظِرٌ مُترقِّبٌ لِما يَؤولُ إليه أمرُ كلِّ طرَفٍ مِنَ الأطراف[5].

2) ﴿ٱلصِّرَٰطِ﴾: (سرط) أصلٌ يدُلُّ على غيبةٍ في مرٍّ وذهابٍ، وتدُلُّ كلمة السّراط على الطّريق السّهل اليسير[6]، الّذي يَغيبُ فيه سالكُه[7]، كأنّ الطّريقَ ابتلعَهُ؛ مِن سرَطْتَ الطّعام إذا ابتلعتَه[8]،

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 9/ 4817، والطّيبيّ، حاشية الطّيبيّ على الكشّاف: 10/ 279.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ربص).
(3) الراغب، المفردات: (ربص).
(4) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (ربص).
(5) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 52.
(6) الرّاغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (سرط).
(7) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (سرط).
(8) الفيّوميّ، المصباح المنير: (صرط).

وانْسَرَطَ الشّيءُ في حَلْقِه سار فيه سيرًا سهلًا[1]، والصّراط لغةٌ في السّراط.

3) ﴿ٱلسَّوِيِّ﴾: هو مِنَ الفعل (سَوِيَ)؛ أي: اعتدل واستقام، وجاء أصلُ معناه مِنَ التّسوية بين شيئين، ثمّ نُقِلَ إلى معنى الشّيء المُستوي في ذاته، والسّواء هو المُستوي في طرفيه[2]، والوسط بين الإفراط والتّفريط[3]، وهو المُعتدِلُ، وتسويةُ الشّيء جعلَه سواءً، فالمُستوي والسّويّ هو الجيّد[4]، وسَواءُ السَّبيلِ قَصدُه[5]، والمقصود بالصّراط السّويّ في الآية: ﴿مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ﴾ هو الطّريقُ الحَسَنُ المستقيمُ المُعتدِلُ[6]، وهو طريق المُرسَلين، وما جاء به وحي ربِّ العالَمين، وهدَى إليه النّاسَ أجمعين.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

بعد حواركم وبيان الحجج، ليس لنا أمام عنادكم إلّا تربُّص مآلكم

خَتَمَ اللّهُ تعالى هذه السّورةَ الكريمةَ بضربٍ مِنَ المُفاصلَة بعد أنْ بلغ الحوارُ مداه، وثَبَتَ مِنَ الكفّار العنادُ، وكأنّ لسان الحال يقول: ما دام الأمرُ كذلك، فكلُّ واحد مِنّا يَنتظِرُ ما يؤولُ إليه أمرُه وأمرُ الطّرف الآخر، فإذا حلَّ ما ننتظِرُهُ كرامةً وتعظيمًا أو خزيًا وهوانًا، فحينئذٍ يتميّزُ المُحِقُّ مِنَ المُبطِلِ، فيَظهَرُ مَن مِنّا سار على الطّريق السَّويّ، ومَنِ اهتدى إلى حُسن المآل.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

نكتة فصل الآية عن سابقتها:

التّوعُّد والتّهديد

فُصِلَتِ الآيةُ ﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ﴾ عنِ الآيات السّابقة، ونكتةُ فصلِها

(1) الزّبيديّ، تاج العروس: (سرط).
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (سوي).
(3) الزّبيديّ، تاج العروس: (سوي).
(4) الرّاغب، المفردات: (سوا).
(5) الزّبيديّ، تاج العروس: (سوي).
(6) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 100.

هو التَّوعُّد والتّهديد بعد أنْ لم تَنفعْ معَهُمُ الدّعوةُ ولا الآيات، فكأنّه قيل: فما الّذي أفعَلُ معهم؟ فقال: ﴿قُلْ كُلٌّ﴾[1]، أو تكون جوابًا عن سؤالهم: ﴿لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾، وما بين الآيتين اعتراض[2].

دلالة صيغة الأمر بـ ﴿قُلْ﴾:

الإنذار والمُتارَكة

هذا الأمر قد جاء بعد محاولاتٍ وجدالٍ وتعليلٍ وضرب أمثال لكفّار مكّةَ؛ ليخرجوا ممّا هم فيه مِنَ العناد والمُعارضة؛ لكنّهم أصرّوا واستكبروا استِكبارًا، فكان مُؤدَّى الأمر أنْ: اتركْهُم لعاقبة أمرِهم[3]، فصيغة الأمر قد استُعملَت في الإنذار والمُتارَكة؛ أي: نَتركُكُم وتَرَبُّصَكُم؛ لأنّنا مؤمنون بسوء مصيركم، وهو في معنى قوله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ۝٣٠﴾ [السّجدة: 30][4].

نكتة تنكير ﴿كُلٌّ﴾ وتنوينه:

كـلٌّ واحـد مِـنَ الطّرفين مُتَرَبِّصٌ

جاءَت كلمةُ ﴿كُلٌّ﴾ مُنَكَّرةً مُنَوَّنةً، ويُسمّى تنوينُها تنوينَ العِوض؛ إذ يُؤتى بالتّنوين ليقومَ مَقامَ مضافٍ محذوفٍ[5]، وتقديره: كلُّ فريقٍ متربِّصٌ؛ أي: مُنتظِرٌ عاقبَته ليراها محسوسةً معلومةً، وإنْ كانَتِ الحقيقةُ معروفةً للنّبيّ ﷺ، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢٤﴾ [سبأ: 24] ويَصدُقُ المضافُ المحذوفُ على الرّسول ﷺ وعلى الكفّار؛ أي: إنّ كلَّ واحدٍ مِنَ الطّرفين مُتَرَبِّصٌ.

نكتة التّعبير بـ ﴿مُّتَرَبِّصٌ﴾ مادّة وصيغة:

الانتظار بتكلُّفٍ وتحفُّزٍ لوقوع أمرٍ

استعملَ التّعبيرُ القرآنيُّ كلمةَ (مُتربِّصٌ) في قوله: ﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟﴾ لِما فيها من نكت عديدة، سواء في مادّته أم في

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرَر: 12/ 376.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 347.
(3) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 9/ 4817.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 348.
(5) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 9/ 4817.

صيغته، فأمّا عن مادّته فإنّ التَّربُّصَ هو التَّحفُّزُ لوقوع شيءٍ، ففيها معنى الانتظار ومعنى المُراقبة، وفيها توقُّعُ شيءٍ سيحدثُ[1].

وأمّا عن صيغته فإنّ كلمةَ ﴿مُّتَرَبِّصٌ﴾ جاءت على وزن مُتَفَعِّل، وهي صيغة تكلُّفٍ مِنَ الرَّبْص؛ وهو الانتظار[2]، فالتَّربُّصُ إذًا انتظارٌ بتكلُّفٍ وتحفُّزٍ لوقوع أمر[3].

دلالة جملة مَقولِ القول ﴿كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ﴾:

مضمونُ الخطاب الّذي أُمِرَ الرّسولُ بتبليغه كشفُ لنيّات كفّار مكّة

دلّ مَقولُ القول في قوله: ﴿كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ﴾ على الخطاب الأخير الّذي أُمِرَ المصطفى بذكره للكفّار، فليُصْغِ الجميعُ لهذا القول.

وفيه دلالةٌ على نبوّته ﷺ؛ لأنّه فضح أمرَهُم وكشَفَ مستورَهم؛ لأنّهم كانوا يتهامسون بينهم دون إعلانٍ ودون إشاعةٍ إعلاميّةٍ لأتباعهم، بأنّهم كانوا يَتربَّصون بالرّسول ﷺ ريبَ المَنون، وحوادثَ الدَّهر الّتي يموت فيها، وعندئذٍ يتخلَّصون منه ومن دعوته؛ ففَضَحَ اللّهُ أمرَهُم بهذا القول.

معنى الفاء في قوله ﴿فَتَرَبَّصُوٓاْ﴾:

انتظروا إنّا مُنتَظِرون

والفاء في ﴿فَتَرَبَّصُوٓاْ﴾ هي فاء الفصيحة[4]، فرَّعَتِ الأمرَ بالتَّربُّص على ما قبلها[5]؛ والمعنى: إذا كنّا نَنتظرُ العاقبةَ فتربَّصوا أنتم أيضًا، وهي في معنى قوله ﷻ: ﴿وَٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [هود: 122]؛ وهو تفرُّعُ مَوقِفٍ عن مَوقِف، وهو نفس المَوقِف: تربَّصَ مَن تربَّصَ، فالجميع مُتربِّصٌ.

دلالة الأمر في ﴿فَتَرَبَّصُوٓاْ﴾:

استمِرّوا في تربُّصكم

جاء الأمر بالتَّربُّص في قوله تعالى: ﴿فَتَرَبَّصُوٓاْ﴾، ويدُلُّ الأمرُ هنا

(1) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 15/ 9465.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 348.
(3) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (ربص).
(4) الدّعّاس، إعراب القرآن: 2/ 278.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 347.

على دوام التَّربُّص؛ لأنّ بدايةَ الآية تُشعِر بتربُّصِ كلٍّ طرَفٍ بالآخر، فيكون الأمرُ هنا أمرًا بدوام الفعل، كما يدُلُّ هذا الأمر على المُتارَكة والإعراض، فلا مَوقِفَ ولا إعادةَ جدال[1].

وفيه توبيخٌ للكفّار على تربُّصهم هذا؛ لأنّه يَؤولُ بهم إلى الهلاك؛ لأنّه ناتجٌ عن مواعيدَ شيطانيّةٍ ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ١٢٠﴾ [النّساء: 120].

دلالة حذف مفعول ﴿فَتَرَبَّصُواْ﴾:

التَّربُّص لأجل التَّربُّص مُفاصَلةً

حُذِفَ المفعولُ به؛ ليَتّسِعَ المجالُ للتّقدير، فقد سأل الكفّارُ آيةً مُلجِئةً ليكفّوا الرّسول عن إزعاجهم، كما سألوا تعجيلَ العذاب إنْ صحَّ وجودُه استهزاءً[2].

ولعلّ في حذف المفعول نوعًا مِنَ المُفاصَلة بأن يكون فعلُ التَّربُّص هو المقصودَ بالذّات، فلا حاجةَ لتقدير مَحذوفٍ، ويصبحُ التَّربُّصُ لأجل التَّربُّص بعد أن انتهى الحوار.

معنى الفاء في قوله ﴿فَسَتَعۡلَمُونَ﴾:

تفريع التّهديد على المُتارَكة

الفاء هنا فصيحة؛ لأنّها أفصحَت عن شرطٍ مُقدَّرٍ بعد الأمر ﴿فَتَرَبَّصُواْ﴾، وهذا الشّرط هو: إذا تربَّصَ كلُّ طرفٍ فستَعلمون[3]، فدلَّتِ الفاء إذًا على معنى التّهديد، وفَرَّعَتِ التّهديدَ على المُتارَكة.

دلالة دخول السّين على الفعل ﴿فَسَتَعۡلَمُونَ﴾:

التّحذير والتّهويل من يوم القَضاء

آثرَ القرآنُ الكريمُ التّعبيرَ بالسّين في قوله: ﴿فَسَتَعۡلَمُونَ﴾ بدل سوف؛ لأنّ السّين تدُلُّ على القرب بخلاف (سوف)؛ فهي للبعيد؛ والمعنى: فستعلمون عمّا قريبٍ حقيقةَ ما تُوعَدون به[4]، وفي قُربه مِنَ التّهويل والتّهديد ما فيه.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 347.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 347.
(3) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 9/ 4818.
(4) البقاعيّ، نظم الدُّرَر: 12/ 377، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 52.

نكتة التّعبير بـ ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾:

يوم الفصل هو يوم العِلم الحقّ

آثرَ القرآنُ الكريمُ التّعبيرَ بالعِلم في قوله: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾، ونكتة التّعبير به أنّ ما سيحصِّلُهُ الكفّارُ يومَها هو العلمُ الحقُّ لا ما يتصوَّرون الآن، فهُم يتصوَّرون الحياةَ والنّجاحَ فيها، وغيرها مِنَ التَّصوُّرات الّتي بنوا عليها حياتَهم ومواقفَهم، وهذه التَّصوُّراتُ زائِلةٌ، ولا قيمةَ لها أمام ميزان العِلم الحقيقيِّ.

نكتة التّعبير بالمضارع في ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾:

تصوير حالة العلم بعاقبة الفريقين

جاء فعلُ ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾ مضارعًا، ونكتة التّعبير بالمضارع هنا هي تصوير حالة العِلم بعاقبة الفريقين، فإذا جاء الفصلُ عَلِمَ كلُّ فريقٍ عقباه، فكيف يُتصَوَّرُ علمُ الكفّار لمآلهم حينها؟ ومَنِ المُفلِحُ يومها!؟

وفيه دلالةٌ على استحضار حالة المحاسبة لكلٍّ مِنَ الفريقين.

نكتة التّعبير بالمُخاطَب في ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾:

التّعريض بالكفّار، لِعلم المؤمنين بحسن عاقبتهم

جاء فعل ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾ بأسلوب الخطاب للكفّار، ونكتة ذلك التّعريض بأنّ المؤمنين يَعلمون عاقبتَهم، بينما الكفّار في غفلة عمّا يَنتظِرُهم؛ لذلك فستَعلمون يومَها[1]، وهو ما يصوِّرُ اطمئنانَ المؤمنين على عاقبتهم؛ لأنّهم استجابوا لداعي الله ﷻ، والعاقبةُ للتّقوى.

بلاغة الكناية في ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾:

هول التَّربُّص لِما يَحمِلُهُ مِنَ النّجاة للمؤمنين أو الانحطاط للكافرين

دلَّ استعمالُ ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾ على وجود كناية في العبارة، إذ ليس العِلمُ حينَها هو المقصودَ الأوّلَ، بل ما يَنتجُ عنه مِنَ المُفاصَلة وتحقُّقِ النّجاة والاطمئنان للمآل، أو الخيبة والخزي والمهانة والذُّلّ.

وما أبلغَ هذه الكناية إذ تركَتِ التَّحدّي مَفتوحًا، وعمّقَت من رهبة التَّربُّص، وأفزعَت مِنَ النّهاية الّتي يَخسرُ معها المُتنافِسُ كلَّ شيءٍ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 348.

إنْ لم يكُنْ مُستعِدًّا تمامَ الاستعداد لها، فإنّه سيَعلَمُ مآلَه، وسيتجرَّعُ خزيَه وندامتَه.

دلالة ﴿مَنْ﴾:

استعملَتِ الآيةُ ﴿مَنْ﴾ في قوله: ﴿مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ﴾، وهي اسمٌ يُقصَدُ به الاستفهام[1]؛ أي: أيّنا أصحاب الصِّراط السَّويِّ، وهي مِن ألفاظ العموم، فعمَّتِ الفريقين، وهي هنا تحملُ معنى التّمييز؛ فليس الفريقان كلاهما صاحبَ الصِّراط السَّويِّ، ولازم الاستفهام هو تحديد المقصود مِنَ الفريقين بأنّه هو صاحب الصِّراط لا غيره.

أيّ الفريقين هو صاحب الصِّراط السّويِّ؟

دلالة مَوقِع قوله ﴿مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ﴾:

تقع جملة ﴿مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ﴾ في محلّ مفعول به للفعل: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾[2]، وهو تخصيصٌ وتحديدٌ لِما سيعلمُهُ الكفّارُ؛ لأنّ أهمَّ شيءٍ سيُعلَمُ يومَها هو مَنزِلَةُ كلِّ طرفٍ في العاقبة والنّهاية، فيُعرَفُ الصّادقُ مِنَ الكاذب، ويُعرَفُ النّاصِحُ مِنَ المُخادِعِ المُستهزِئ.

تخصيص وتحديد لِما سيعلمُهُ الكفّارُ في هذا اليوم

نكتة إضافة ﴿أَصْحَٰبُ﴾ إلى ﴿ٱلصِّرَٰطِ﴾:

أُضيفَ ﴿أَصْحَٰبُ﴾ إلى ﴿ٱلصِّرَٰطِ﴾، ونكتة هذه الإضافة هي التّعريف بما يطلُبُ الفريقان مَعرِفَتُه، فالصِّراط السَّويّ هو معيار الحقّ، وكلُّ فريق يدّعي أنّه صاحبُ الحقّ، فمَن هو المُحِقُّ ومَن هو المُدَّعي؟

الصِّراط السَّويّ هو معيار الحقّ

معنى (أل) في ﴿ٱلصِّرَٰطِ﴾:

جاء لفظ ﴿ٱلصِّرَٰطِ﴾ مُعرَّفًا بـ(أل)، وهي (أل) الحقيقة، فهي الّتي تُعرِّفُ بحقيقة الصِّراط، وأنّه الطّريق السَّويّ اليسير، والتّعريف يُظهِرُ أنّ للصِّراط تصوُّرًا مثاليًّا لا ينبغي العدولُ عنه، ويسلكُهُ كلُّ مَن يريدُ النّجاةَ.

الصّراط هو أحسن طريق للحياة وأيسره

(1) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 4/ 44.
(2) العكبريّ، التّبيان: 2/ 910.

بلاغة الاستعارة في لفظة ﴿ٱلصِّرَٰطِ﴾:

للحقّ سبيلٌ ينهجُهُ أصحابُه للوصول إليه

ذُكِر الصِّراطُ في الآية ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ﴾، وقُصِدَ به الحقُّ، على سبيل الاستعارة[1]، وتكمن بلاغةُ هذه الاستعارة في أنّ للحقِّ طريقًا يُوصَلُ إليه، ومَنهجًا يسير عليه أصحابُه، فمَن سلكَهُ فقدِ اتَّسَمَ بالحقّ، وبَلَغَ مَقصِدَه.

نكتة وصف الصِّراط بأنّه سَويٌّ، مع أنّه لا يكون إلّا كذلك:

المبالغة في الاستقامة والتزام المنهج

جاء وصف ﴿ٱلصِّرَٰطِ﴾ بأنّه سَويٌّ، مع أنّ الاستقامةَ وصفٌ أصيلٌ في الصِّراط، فكأنّه وُصِفَ بالاستقامة مرّتين! ونكتة ذلك هي المبالغةُ في الاستقامة، وأنّ الاستقامةَ على المبدأ والالتزامَ بالمنهج هو وصفُ صاحب الصِّراط السَّويِّ.

بلاغة الاستعارة في لفظة ﴿ٱلسَّوِيِّ﴾:

وسطية الصِّراط السَّويِّ بين الإفراط والتّفريط

وفي وصف الصِّراط بالسَّويِّ استعارةٌ؛ إذِ السَّواء هو المكان الّذي تتساوى إليه مسافةُ جوانبه، فاستُعير إلى الصِّراط ليأخُذَ معنًى جديدًا؛ هو أنّه وسطٌ بين طرفي إفراط وتفريط[2].

دلالة الواو في قوله ﴿وَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ﴾:

فستعلمون كذلك أيُّنا المُهتدي

دلَّتِ الواو على عطف جملة ﴿وَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ﴾ على جملة ﴿مَنۡ أَصۡحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ﴾، وهو عطفٌ على محلِّ الجملة الاستفهاميّة؛ أي: ستَعلمون أيُّنا أصحاب الصِّراط السَّويّ، وستَعلمون المُهتدي[3].

دلالة عطف المهتدين على أصحاب الصِّراط السَّويِّ:

كمال المتّقين في الاهتداء إلى الصّراط وفي مُلازَمَتِه

عُطِفَ المهتدون في قوله: ﴿وَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ﴾ على أصحاب الصِّراط السَّويِّ، مع أنّهم منهم؛ فكيف يُعطَفُ الوصفُ على نفسه؟ ولعلّ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 348.
(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 12/ 465.
(3) الشّهاب، عناية القاضي: 6/ 236.

الغرضَ من ذلك هو ذكرُ درجتين في أهل العُقبى: الاهتداء إلى الصّراط، ومُلازمته[1]، وتعدادُ ذلك دليلُ كمال مَنِ اتَّصَفَ بها.

دلالة التّعبير بـ ﴿وَمَنِ﴾:

آثرَ التّعبيرَ بـ﴿وَمَنِ﴾ في جملة ﴿وَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ﴾؛ لأنّها استفهاميَّة[2]، وهي تتمَّةٌ للاستفهام الأوّل؛ أي: ستَعلمون مَنِ اهتدى، أو تكون بمعنى مَن الموصولة[3] الّتي تَقصدُ إلى الإخبار بالصّلة والموصول.

الاستفهام عنِ المُهتدي والإخبار عنه

نكتة العدول عنِ الاسميّة إلى الفعليّة ﴿وَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ﴾:

وقد تمّ العدولُ عنِ الجملة الاسميّة في ﴿مَنۡ أَصۡحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ﴾ إلى الجملة الفعليّة في ﴿وَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ﴾، ومُقتضَى النّسق أن يُقالَ: مَن أصحابُ الصّراط السَّويِّ ومَنِ المهتدي، ونكتة هذا العدول هو ما يحمِلُهُ الفعلُ من دلالةٍ على الحدوث، فالاهتداء إرادةٌ وقرارٌ، بعد إرادة الله وحكمه، وكذا التّعريض بالكفّار أنّهم لم يريدوا الاهتداء.

الهداية توفيقٌ ربّانيٌّ وعزيمةٌ مِنَ العبد قويّةٌ وصادقةٌ

بلاغة ربط ختام السّورة بمَطلِعِها:

القارئ لآيات سورة طه من أوّلها إلى آخرها لا يخفى عليه ما بين بداية السّورة وخاتمتها مِنَ المناسبة؛ فإنّها قد بُدِئَت ببيان أنّ القرآن أُنزِلَ على النّبيّ ﷺ ليَحمِلَ به همَّ الإبلاغ، وحيثُ قد بلَّغَ فلا يهمُّهُ ما سواه ﴿إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ﴾ [الشّورى: 48]، وخُتِمَتِ السّورة بطلب الإقبال على طاعة الله تعالى وأمرِ الأهل الّذين يستجيبون لأمره، وترك الّذين لا يستجيبون له؛ فإنّه لا ينجحُ فيهم الإنذار، وسيندمون حيثُ لا ينفَعُ النّدمُ[4].

بلِّغْ ما أُنزِلَ إليك، والله يَعصمُك مِنَ النّاس

(1) الأنصاريّ، فتح الرّحمن: 1/ 370، وأبو زهرة، زهرة التّفاسير: 9/ 4818.
(2) الصّاويّ، حاشية على الجلالين: 3/ 59.
(3) العكبريّ، التّبيان: 2/ 910.
(4) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 17/ 471.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

التَّربُّص والانتظار والإمهال:

التَّربُّص والانتظار والإمهال مِنَ المعاني المُتقارِبة، فهي تلتقي في معنى المهلة والانتظار مدّةً زمنيّةً، وتفترِقُ عن مُطلَقِ الانتظار في أنّ التَّربُّصَ انتظارٌ مع ترَقُّبٍ وتحفُّزٍ لِما سيحدث[1]، بينما الإمهالُ انتظارٌ لإنظار[2].

التَّربُّص والإمهال انتظار، والتَّربُّص انتظار لِما يأتي مِنَ الغير، والإمهال إنظار مِنَ الغير

كما يَفترِقُ التَّربُّص عنِ الإمهال في مدّة الانتظار، فقد تكون مدَّةُ التَّربُّص مُحدَّدةً، وقد تكون مَجهولةً، فيتوقَّعُ أيَّ شيءٍ، خاصّةً ما يَنفعِلُ به من غيره، بينما في الإمهال أجلٌ مُحدَّدٌ غالبًا وفرصةٌ للقيام بما يُنتظَرُ منه.

وفي الإمهال يقومُ الآخرُ بالإنظار، بينما يقوم صاحبُ الأمر نفسه بالتَّربُّص لِما سيأتي مِنَ الآخر.

(1) الرّاغب، المفردات: (ربص).
(2) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 80.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والثلاثون،
سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والثلاثون، سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 33 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-75-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 33 : المجلد الثالث والثلاثون، سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-75-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1130605 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»